وفاء عبد

« جون النوبي » «١»

بقلم : الاستاذ الكبير
السيد محمد رضا السيد الحائري
المحامي

اشتراه امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب من الفضل ابن العباس بن عبد المطلب بمائة وخمسين ديناراً ووهبه لابي ذر الغفاري ليخدمه فانتقل من بيئة تزخر بالثراء والجاه والمكارم الى اخرى قد خيم عليها جلال الزهد والتقوى وغمرها سلطان الايثار والتقشف وزانها نور الورع والقناعة فاندلعت منها شعلة وهاجة تتألق بروحانية الدين الاسلامي الحنيف التي استقاها ابو ذر من ينبوعها الصافي الفياض فغمرت تلك الانوار المنبثقة نفس جون بن حوي النوبي الذي اندفع مع سيده او بالاحرى مع اخيه ومعلمه ابي ذر يلتهمان تلك الروحانية الفائضة بقلوب ملأها الايمان بنور الحق واليقين .

رافق جون ابا ذر وهو يتذوق تلك الرحمة التي اسبغها عليه ذلك الجو المفعم بكل الوان الرحمة وكابد معه اقسى ألوان الاضطهاد والعدوان حينما نفاه عثمان بن عفان الى الشام مدينة البذخ والجبروت

(١) هو جون بن حوي بن قتادة بن الاعور بن ساعده ابن عوف بن كعب بن حوي مولى ابي ذر الغفاري .

والخديعة وشاهد الاموال التي اغدقها معاوية على ابي ذر لاغرائه بالكف عن التنديد بالاوضاع السائدة التي لا تتفق وتعاليم الاسلام واختبار صدق دعوته ودرجة ايمانه بها ومبلغ عقيدته بما دعا اليه فتبين له كيف وزعها ابو ذر على مستحقيها بوقت يسير وقد ساق جون هذا الا سراف للمقارنة بين ايمان ابي ذر وجبروت معاوية وسلطان هذا وذاك او بالاحرى بين النفس العامرة بتعاليم الاسلام الناصعة لمثله الخالصة لأوامره ونواهيه وبين النفس المغمورة بتقاليد الجاهلية وعاداتها ومساوئها ودفعه ذلك للموازنة بين الهاشميين والامويين فخرج من ذلك بيقين لا يشوبه شك وعقيدة لا يعتورها غموض بان الاسلام اخذ يتردى ويتداعى ويزول ظله على ايدي الامويين الذين اغتصبوا السلطان من اهله الجديرين بالمحافظة على روحه والذين هم احق به من طلقاء بني امية ومن غيرهم وخلق له هذا التفكير بصيرة جديدة ماضية وروحاً تثوب ضد الطغيان والظلم واهلها وتجاهد للذب عن الحق والفضيلة المتركزة في تعاليم الاسلام المتمثلة في شخصية امير المؤمنين علي بن ابي طالب الذي غمطوا حقه وابتزوا سلطانه وانتزعوا تراثه .

آب جون مع ابي ذر الى المدينة بعد جهاد طويل شاق في بث التعاليم الاسلامية الحقة في تلك الربوع التي جاسها بصحبة ابي ذر الصلب الأيمان الصارم العزيمة فقوبل سيده بالنفي من المدينة وجوبه من الخليفة الناقم عليه بما لا يليق بمقامه مما اضطر امير المؤمنين علي بن ابي طالب واولاده لتوديع الشيخ المجاهد وتشييعه رغم الحضر والمنع الشديدين والتهديد العنيف اعزازاً له وتأييداً لدعوته وانتصاراً لصدق ايمانه وعاش في الربذه مع سيده في عزلة تامة عن اصحاب الرسول « ص » وغيرهم من الناس وعانيا ضيق العزلة ووحشتها بهدوء المؤمن المطمئن ولم يرع جون الا مرض رفيقه المشتد فكان

هذا استطراد او استعراض موجز للحوادث التي وقعت وما رافقها من خطأ فكري ، ويتضح من ذلك ان العراقيين او اهل الكوفة بالذات ليس كما وصفوا من الخيانة والغدر والنفاق بالشكل الذي صدره بعض المؤرخين والكتاب . وانما انطلت عليهم دعاية مكذوبة لم يتبينوا حقيقتها الا بعد فوات الابعد فوات الاوان فحاولوا التكفير بدمائهم عما ارتكبوا من خطأ .

هذه ملاحظة عابرة أرجو ان يبحثها الكتاب ويوضحوا ماغمض من جوانبها التاريخية ، مؤيدة بالوثائق والنصوص ، وأملي ان اعود الى هذا الموضوع مرة ثانية بالتفصيل ، اذ لايجوز ان يظل مثل هذا الخطأ الفكري عالقا بالتاريخ في قضية كربلا .

سلمان الصفواني

يسهر الليالي بجانبه يواسيه ويرعاه ويفديه بنفسه حتى فاضت روحه الزكية بيد داعي احبابه واصحابه فبكاه وندبه بدموع سخية هي دموع الوفاء والاخلاص واشترك في دفنه مع رهط من المسلمين كانوا مارين من هناك ثم عاد الى المدينة لدار الامام علي بن ابي طالب وبعده لدار ولده الحسن ثم لدار ولده الحسين ومنها لدار زين العابدين عليهم السلام، وتقلب في دور الوحي والامامة يرتوي من مناهلها الروحية غذاءه الروحي حتى خرج الحسين الى مكة ومنها للعراق بعد ان كاتبه اهل الكوفة بالقدوم عليهم بعد هلاك معاويه . فخرج جون مع الامام الحسين عليه السلام يخدمه في سفره الطويل الشاق وكان يسمع الاخبار السيئة التي ترد الى الحسين من الكوفة وكيف غدر اهلها بمسلم بن عقيل ونكثوا بيعة الحسين وانضووا تحت لواء عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاويه فآلمه ذلك وحز في نفسه وجدد شجونه واثار همومه سيما وقد لاحظ تفرق الناس عن الحسين خوفاً من بطش الجبابره وتنكيلهم دون ان يكون لهم ايمان يحفزهم للتضحية في سبيل اعزاز الاسلام او يردعهم عن الفرار من مواجهة الباطل كما شاهد جيش الحر بن يزيد الرياحي يسد عليهم الطريق حتى ألجأ الحسين عليه السلام للنزول في كربلاء هو ومن بقي من اصحابه الميامين .

قام جون مع الاصحاب بنصب الفساطيط والخيام ليستقر الحسين واهل بيته بعد ذلك النصب والمشقات التي كابدوها في سفرهم المرهق ، ولم يفارق بضعة البتول الا لتلبية امر او اجابة طلب حتى دعاه الامام الحسين ذات يوم لمعالجة سيفه وهو في خيمته فطفق جون يعالج السيف بلفه وهو يرنو بين آونة واخرى الى الامام الذي سمعه يردد هذه الابيات :

يا دهر اف لك من خليل كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب وطالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل
وكل حي سالك سبيلي وانما الامر الى الجليل

. فأدرك ما كان يجول بخاطر الامام من افكار وتصورات فلم يملك نفسه دون ان تتحدر الدموع من عينيه لوعة لحال الحسين ورزئه الفادح ومصيبته الجليلة التي ستحل به وبأهل بيته وعشيرته واخذ يمسح دموعه في صمت وكآبة وهو يحاذر ان يراه الحسين على تلك الحال .

جمع الحسين اصحابه ليلا وخطبهم واباح لهم التسلل واتخاذ ظلام الليل ستاراً للاختفاء وسمع جون كلام الحسين ورد ، واصحابه له — كما هو المعروف — فنزه ذاك الموقف النبيل هزاً عنيفاً وحمد الله على وجود مثل تلك العصبة المؤمنة التي اقامت مختارة لنصرة وريحانة الرسول ولم يرهبها تأليب الباطل على الحق ولم تخفها كثرة الاعداء وتكالبهم على اطفاء نور الحق المنبلج من نفس الامام الابية ، تلك النفس التي اضحت بؤرة المدسة الدين الاسلامي التي تنبعث منها انوار الهدى منغلغلة في قلوب المسلمين ومنهم الانصار الذين وطنوا انفسهم على خوض غمرات الحتوف واهوالها في سبيل اعلاء كلمة الحق المتمثلة في شخص الامام السبط ولم يتخاذلوا امام قوى الشر ورهبة الموت كما تخاذل غيرهم ممن لم يدخل الايمان قلبه ، نعم انهم فضلوا رضاء الخالق على سخط المخلوق .

اعتاد انصار الحسين اذا اراد احدهم القتال ان يتقدم ويسلم على الامام ويستأذنه وهكذا حتى اقبل جون يستأذن الامام في القتال وقد طأطأ برأسه وتحدرت دموعه فقال له سيد شباب اهل الجنة [يا جون انت في اذن مني فانما تبعتنا طلباً للعافية فلا تبتل بطريقتنا] وكان هذا دأب الحسين عليه السلام في تمحيص اصحابه واختبارهم لكي لا يدع قولا لقائل ولا عذراً لمتردد ، ولكي يفتح ابواب النجاة لمن يرجوها دون اكراه ولا اجبار لتكون التضحية عن بصيرة واعتقاد ولكن جون الذي كان ينتظر ذلك اليوم بفارغ الصبر لم يرق له ذلك فانه يريد ان ينصر الحسين ويفديه بنفسه ويبذل في الجهاد معه مهجته وبنصره يكون قد نصر الاسلام ، وقد تاقت نفسه لمحاربة الطغيان والجور ، واتيح له ذلك فكيف لايقدم على الجهاد عن بيضة الدين مع ابن رسول الله وريحانته ولا عذر له في الاحجام وهو المؤمن بعدالة دعوة الحسين، ولم ير له مخرجاً الا الوقوع على قدمي الحسين يقبلها ويبللها بدموعه ويقول « يا بن رسول الله انا في الرخاء الحس قصاعكم وفي الشدة اخذلكم والله ان ريحي لنتن وان حسبي للئيم وان لوني لاسود فتنفس علي بالجنة ليطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض لوني لا والله لا افارقكم حتى يختلط هذا الدم الاسود مع دمائكم » .

اسمعت الايمان كيف يندفع مدوياً مجلجلا متدفقاً من حنجرة ذلك العبد ؟ وهل احسست بما تبعثه هذه الكلمات